﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: 7 - 9]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

حـــالُ أهـــلِ الـسُّـــرور يـوم العرض في نعيمٍ وحبورٍ

لمّا ذكرَ البيان القرآني في الآية السّابقة أنّ لكلّ إنسان عملًا سيُلاقي جزاءَه يوم القيامة، وكان فيهم المقبولُ والمردودُ، بسبب أنَّ كَدْحَه تارةً يكون حسنًا وتارة يكون سيِّئًا، فصّل في هذه الآيات حالَ أهل السّعادة يوم العرض. والمقبولُ مَنْ أُعطيَ كتابَ حسناتِه بيمينه لأنَّه كان في الدُّنيا من أهل اليمين أي الدّينِ المَرْضيِّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾: (كتب) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على جمعِ شيءٍ إلى شيءٍ. ومن ذلك الكتاب والكتابة؛ فكلُّ ما جمعتَهُ فقد كتبْتَهُ. وسُمّيت الكتابةُ كتابةً لِضَمِّ الحروف فيها بعضِها إلى بعضٍ، إشارةً إلى ما أُثبتَ فيه أعمالُ بني آدم. وهي صحيفةُ كُلِّ إنسان، وما كُتِب له مِن خيرٍ أو شرٍّ، جليلٍ أو حقيرٍ، وصغائرُ الذُّنوب وكبائرُها[2]. وهو معنى اللَّفظ في الآية، فـ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾: صحيفةُ أعماله[3].

2) ﴿وَيَنقَلِبُ﴾: مطاوع (قلب)، وأصله ردُّ شيءٍ مِن جهةٍ إلى جهةٍ. وقلبُ الشَّيء: تصريفُه وصرفُه عن وجهٍ إلى وجهٍ[4]. والانقلاب: الرُّجوعُ إلى الموضع الَّذي جيء منه خصوصًا. يقال: (انقلب المُسافرُ إلى أهله) وفي دعاء السَّفر: ورَد التَّعَوُّذُ مِن «كَآبَةِ المُنْقَلَبِ»[5]، وفي

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 339.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (كتب).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 222.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (قلب).
(5) صحيح مسلم: 2/ 979، رقم الحديث: (1343).

رواية: «سوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ والأهْلِ»[1]، وأصْلُه مستعارٌ مِن قَلبِ الثَّوب، إذا صَرَفه مِن وجهٍ إلى وجهٍ آخر، والمراد به في الآية رجوعُ المؤمن بعد حسابه إلى أهله في المَحْشَرِ قبل دخول الجنَّة[2].

3) ﴿مَسْرُورًا﴾: اسم مفعول مِن (سرّ)، و(سرر) أصلٌ يَجمَعُ فروعُه إخفاءَ الشّيء، لا يخرج شيءٌ منه عن هذا. فالسِرُّ: خلاف الإعلان. يقال أسررت الشَّيءَ إسرارًا، خلاف أعلنته. ومنه السّرور، لأنّه أمرٌ خالٍ مِن الحُزن[3]. وقال بعضهم إنّ أصل هذه المادّة غُؤورٌ إلى العمق بامتدادٍ ودِقَّة، فالسّرورُ والفرحُ انشراحٌ في الصّدر وفُرجَةٌ تمتدّ في باطن النَّفس[4]. والمعنى في الآية أنّ المؤمن يرجع بعد العرض إلى أهله مُبتهِجًا بحاله وكونه مِن أهل النّجاة.

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

يُخبِر رَبُّنا سبحانه عن أحوال الحساب يوم القيامة بأنّ مَن أُعطي كتابَ أعماله بيمينه وهو مؤمنٌ برَبِّه، فسوف يحاسَبُ حسابًا سَهلًا هَيِّنًا، بأن يُنظَر في أعماله، فيُغفر له سيِّئُها، ويجازى على حَسَنِها، ويرجع إلى أهله فرِحًا مُستبشِرًا[5].

إيتاءُ الكتاب باليمين دلالةٌ على الفوز المبين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء في قوله ﴿فَأَمَّا﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ لتفريع التّفصيل على الإجمال؛ أو سببيّة، لأنّ الإجمالَ سببُ التّفصيل[6]. وقد جُعل تفصيلُ النّاس بالنِّسبة لِكَدح كُلِّ إنسانٍ قِسْمين: أصحابُ

النّاسُ في الكدح صنفان أصحابُ يمينٍ وأصحابُ شمالٍ

(1) صحيح مسلم: 2/ 978، رقم الحديث: (1342).
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 261.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سر - سرر).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سرر).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 236، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 589.
(6) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 166.

يمينٍ وأصحابُ شمالٍ، لأنَّ النّاس بالنّسبة إلى الإيمان قسمان: مؤمنٌ وكافرٌ، وشتّان بين جزاءِ كُلِّ فريقٍ، فالفاء رابطةٌ بين كلامين، ومُؤذِنةٌ بالبَون بين الأمرين المتنافيَين[1].

دلالة حرف (أمّا):

شَـأْنُ أصحاب اليمين رفيع، وحالُهم مَهيب

(أمّا) في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ حرفٌ دالٌّ على التّفصيل، وفيه معنى الشّرط؛ لذا يقترن جوابُه بالفاء، وهو هنا لتفصيل الإجمال الّذي في قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، أي: رجوع جميع النّاس أولئك إلى الله سبحانه، فمِنهم مَن يُؤتى كتابَه باليمين، ومِنهم مَن يُؤتى كتابَه بالشّمال، وبين مُنتهاهما مراتب؛ وإنَّما جاءت هذه الآيةُ على اعتبار تقسيم النّاس يومئذٍ بين أتقياء ومشركين[2]. كما يفيدُ حرفُ (أمّا) توكيدَ الكلام وتقويتَه[3]، ونكتةُ التَّوكيدِ هنا تعظيمُ شأن المؤمنين أصحابِ اليمين.

وجه استعمال الموصول ﴿مَنْ﴾:

وصـفُ المؤمنين بإيتاء الكتاب باليمين

استُعمل الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الدّالُّ على العاقل المُكلَّف، لكونه المحاسَبَ على أعماله والمجازى عليها، والنُّكتةُ في إيثار الاسم الموصول دون الاسم الظّاهر أنّه يَسْمحُ بوصفه بجملة الصّلة، وقد أفاد النّظمُ بهذه الصّلة وصفَ المؤمنين بإيتاء الكتاب باليمين.

سِرُّ إيثارِ لفظ الإيتاء دون الإعطاء:

إيـتـاءُ الكتاب باليمين مِن مِنَنِ الله تعالى على المؤمنين

أوثر التّعبيرُ بفِعل الإيتاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ دون فِعلِ الإعطاء، لِكَونِه أقوى مِن الإعطاء، فالإيتاء لا مُطاوِعَ لفعله، فتقول: آتاني شيئًا فأخذتُه، بخلاف الإعطاء فإنَّ له

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 426، والشّهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 7/ 393.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.
(3) بهاء الدّين السُّبكيّ، عروس الأفراح: 1/ 130.

مُطاوِعًا، فتقول: أعطاني شيئًا فعَطَوْتُه، والمتقرِّر أنَّ ما له مطاوعٌ مِن الأفعال أضعفُ في إثبات مفعولِه ممّا لا مطاوع له. كما أنّ الإيتاء يُستعمل للشّيء العظيم الشّأن، ولهذا ورد في إيتاء القرآن الكريم، والتّوراة، والمُلك، والرّحمة، بخلاف الإعطاء فلم يستعمل في ذلك[1].

ويجوز أن يدلّ لفظُ الإيتاء ههنا على التَّيسير للمؤمن في هذا المشهد بما يومئ به لفظ الإيتاء من معنى اليسر وِفاق اعتراض الزَّبيديِّ التَّوجيه السّابق؛ لأنّ القاعدة الَّتي ذُكرتْ في المطاوعة لا يكاد ينسحب حُكمُها على كُلِّ الأفعال، بل الَّذي يظهر خلافُه، فإنَّ الإعطاء أقوى مِن الإيتاء، ولذا خُصَّ في دفع الصدقاتِ الإيتاءُ؛ ليكون ذلك بسهولةٍ مِن غير تَطَلُّعٍ إلى ما يَدفَعُه، وتأمَّلْ سائِرَ ما ورد في القرآن يُؤكِّد هذا المعنى، ومِن ذلك لفظ (الكوثر)؛ لمّا كان عظيمًا شأنُه غير داخلٍ في حيطة قدرةٍ بَشَريَّةٍ استُعمل الإعطاء فيه[2].

وفرَّق جماعةٌ بينهما بأنَّ الإيتاء قد يكون واجبًا وقد يكون تفضُّلًا بخلاف الإعطاء[3]. وهو هنا تفضُّلٌ على المؤمن، ومنَّةٌ مِن مِنَن الله تعالى عليه.

دلالة صوغ ﴿أُوتِيَ﴾ ماضيًا مبنيًّا للمفعول:

يومُ القيامة آتٍ لا محالة

عُبِّر بالفعل ﴿أُوتِيَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ماضيًا وليس مستقبلًا مع أنَّ السّياق هو في ذِكر الحساب المستقبليِّ يوم القيامة، للدِّلالة على التَّحقُّق، فهو آتٍ لا محالة، وهذا نظيرُ قولِه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: 1][4].

(1) محمد داود، معجم الفروق الدّلاليَّة في القرآن الكريم، ص: 27 - 29.
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (أتى).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (عطو).
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 260.

الله تعالى هو المتفرّدُ بمحاسبة عباده

وبُني الفعل ﴿أُوتِيَ﴾ للمفعول، ولم يُصرَّح بالفاعل للإيجاز، لوضوحه مِن السّياق، وهو الله سبحانه، فهو وحدَه مَن يحاسِب عبادَه ويُجازيهم عَن أعمالهم، مَعَ ما فيه مِن التَّركيز على الفعل في حَدِّ ذاتِه وهو الإيتاءُ، دون التَّعرُّض للفاعل، ومعلومٌ إذا كان الكلامُ منصبًّا إلى غَرَضٍ مِن الأغراض جُعِلَ سياقُه له وتوجُّهُه إليه، كَأنَّ ما سواه مرفوضٌ مُطَّرَحٌ[1].

سِرُّ إيثارِ لفظ (الكتاب) دون غيره:

أعمالُ بني آدم مكتوبةٌ محفوظةٌ مجموعةٌ لا يَنقُصُ منها شيء

أوثر التَّعبير بلفظ ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ دون غيره كالصّحيفة مثلًا؛ لِنُكتة لَمْح أصل الاشتقاق، وهو الكتابة؛ فقد سَخَّر الله لِكُلِّ عَبدٍ مَلَكين عن يمينه وشماله يكتُبان كُلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ مِن أعماله، والحِكمةُ في الكتابة - مع أنَّ الله سبحانه لا يخفى عليه شيءٌ - أنَّ المكلَّف إذا عَلِم أنَّ أعماله تُكتَب وتُعرَض على رؤوس الأشهاد كان أزجرَ عن المعاصي، وأنَّ العبدَ إذا وثِق بلُطفِ سَيِّده، واعتمد على عَفوِه وسَترِه لم يَحتشِم احتشامَه مِن خَدَمه المطّلعين عليه[2]. ثم إنّ الكتاب هنا يمثّل صحيفةَ أعمالِ الفرد الَّتي يُجمع فيها أعمالُه صغيرُها وكبيرُها، وهذا المعنى يتوافقُ مع أصل معنى الكتابة والكتاب وهو الجمع.

دلالةُ إضافة (الكتاب) إلى الضَّمير:

تحمُّلُ العبد تبعاتِ عَمَلِه صورةٌ لِعظيم عدلِ الله سبحانه

الإضافة في لَفظِ ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ على معنى اللّام، وهي مفيدةٌ للاختصاص، بمعنى أنَّ كُلَّ إنسانٍ يُؤتى صحيفةَ أعماله الخاصَّةَ به في يده اليمنى أو اليسرى بحسب أعماله، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ كُلَّ عبدٍ يتحمَّلُ تَبعةَ أعماله بنفْسه، ولا ينوبُ عنه أحدٌ في ذلك، فلا تزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 254.
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 377، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 260.

نوعُ الباء ودلالتها في قوله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾:

اليـمـينُ مـكـانُ كتابِ المؤمنين

الباء في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ للمُلابَسة أو المُصاحَبة أو هي بمعنى (في) الدّالِّ على الظَّرفيَّة المكانيَّة، بمعنى أنَّ الكتابَ مكانُه اليمينُ للمؤمنين، ومكانُه الشِّمالُ وراءَ الظَّهر للكافرين، وهذا الجارُّ متعلِّقٌ بالفعل ﴿أُوتِيَ﴾[1].

وجهُ تخصيص اليمين بالذّكر:

اليـمـينُ شـعـارُ اليُمن

أوثِر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ جَعلُ الإيتاء في اليمين شعارًا للسَّعادة لِما هو مُتَعارَفٌ مِن أنَّ اليد اليمنى تتناول الأشياءَ الزَّكيَّة، وهذا في غريزة البشر، ناشئٌ عن كون الجانب الأيمَن مِن الجسد أقدرَ وأبدرَ للفعل الّذي يتعلَّقُ العزم بعَمَلِه، فارتكز في النُّفوس أنَّ البركة في الجانب الأيمن، حتَّى سمَّوا البركة والسَّعادة يُمنًا، ووسَموا ضِدَّها بالشُّؤم، فكانت بركةُ اليمين ممّا وضَعه الله تعالى في أصل فطرة الإنسان[2].

غرض تعريف اليمين بالإضافة لا بأل:

شـرفُ الـيـمـين مِن سُموِّ مكانة المؤمنين

تعريفُ اليمين بالإضافة إلى الضَّمير (الهاء) العائد على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تنويهٌ بشَرَفهم وشَرَف أيمانهم الَّتي كانت أداةَ التَّشمير إلى الخيرات، والعزم على الطّاعات، والبِدار إلى القُرُبات، حتَّى اقترنتْ بالبركات، وتعلّقتْ بالمسرّات. صَنْعَةُ الله تعالى، ومَن أحسنُ مِنه صَنْعَةً؟!.

معنى الفاء في قوله ﴿فَسَوْفَ﴾:

الحسابُ اليسيرُ جـزاءُ استقامة المَسير

الفاءُ في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ رابطةٌ لِجملة جواب الشَّرط بجملة الشَّرط، وذلك لأنّ حرف (أمّا) مِن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ متضمِّنٌ معنى الشّرط؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.

ولذا يقترن جوابُه بالفاء للرَّبط بين الفعل والجزاء، وتنبيهًا على حصول الثّاني بحصول الأوّل.

دلالة استعمال (سوف):

تحقّقُ يُسرِ الحساب مِصداقٌ لوعد النَّجاة مِن العذاب

الأصلُ في استعمال الحرف (سوف) الوارد في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ دلالتُه على حصول الفعل في المستقبل، والأكثر أن يُرادَ به المستقبلُ البعيدُ، وهذا هو الشّائع، ويُقصَدُ به في الاستعمال البليغ تَحَقُّقُ حصولِ الفعلِ واستمرارُه، فهو هنا مفيدٌ للتَّحَقُّق والاستمرار بالنِّسبة إلى الفعل القابل للاستمرار وهو: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ إذ هو المقصود مِن هذا الوعد[1].

دلالةُ المضارعة والمفاعلة في الفعل ﴿يُحَاسَبُ﴾:

القيامةُ هي اليومُ الموعودُ لحساب الخلائق

جاء الفعل ﴿يُحَاسَبُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بصيغة المضارع للدّلالة على الاستقبال إذ محلُّه يومُ القيامة، فهو اليوم الموعود لحساب الخلائق، وقد جاء هذا الفعل مسندًا لما لم يُسَمَّ فاعلُه لنُكتة الإيجاز، فمعلومٌ أنَّه لا يحاسِب الخلقَ إلّا خالِقُهم سبحانه. وفي البناء للمفعول وإخفاء الفاعل دلالةٌ على سهولة هذا الحساب، ويُسرِه على المؤمنين.

المكالمة بين الرَّبّ والعبد محاسبةٌ

واستَشْكَلَ بعضُ العلماءِ مجيءَ الفعل ﴿يُحَاسَبُ﴾ بصيغة المفاعلة، وهي تقتضي المشاركة غالبًا، فالمحاسبة تكون بين اثنين، وليس في القيامة لأحد قِبل ربّه مطالبةٌ فيحاسبه؟ والجواب عن هذا الإشكال: أنّ العبد يقول: (إلهي، فعلتُ المعصية الفلانيَّة)، فكأنَّ ذلك بين الرَّبِّ والعبد محاسبة، وثَبَت الدَّليلُ على تخصيص الكفّار بأنَّه لا يكلّمهم، فدَلَّ ذلك على أنَّه يُكلِّم المطيعين، والعبدُ يُكلّمه، فكانت المكالمةُ محاسبةً[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 99.

نُكتةُ التَّعبير بالمصدر ﴿حِسَابًا﴾ نكرةً:

تـأكـيـد المـصـدر لعامله

عُبِّرَ بلفظ ﴿حِسَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا﴾، وهو في أصله اسمُ مصدرٍ للفعل (حَسَبَ يَحْسُبُ) إذا عَدَّ أشياء، والمرادُ عَدُّ أعمال العباد وإحصاؤها لمجازاتهم عليها يوم القيامة بالثّواب إن كانت صالحةً، والعقاب إن كانت سيّئةً.

والنُّكتةُ في ذِكرِ المصدر بَعدَ فِعلِه هو المبالغةُ في تأكيد مدلول الجملة وبيان نوع الحساب للمؤمن، وتنكيرُه للتَّهوين مِن هذا الحساب، والتَّخفيفِ مِن شِدَّته.

سِرُّ وصفِ (الحساب) بلفظ ﴿يَسِيرًا﴾:

يُسرُ الحساب تعريفٌ بالأعمال وتعجيلٌ إلى الجَنَّة

وَصفُ الحسابِ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بكونه ﴿يَسِيرًا﴾، كنايةٌ عن عدم المُؤاخَذة، وذلك بأن تُعرَضَ عليه أعمالُهُ، ويُعَرَّفَ الطّاعةَ مِن المعصية منها، ثمَّ يُثاب على الطّاعة ويُتجاوز عن المعصية دون مُناقشةٍ ولا افْتِضاحٍ، فلا يطولُ زمنُ حسابه، فيعجّل به إلى الجنّة. وهذا هو العَرْض الوارد في حديث عائشة ﵂ قالت: «سألتُ رسول الله ﷺ عن الحساب اليسير؛ فقلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ فقال: الرَّجُلُ تُعرَضُ عليه ذنوبُهُ ثمَّ يُتجاوَزُ لهُ عنها. إنَّه مَن نوقِشَ الحسابَ هَلَكَ»[1][2].

توجيهُ العطف بالواو في قوله: ﴿وَيَنقَلِبُ﴾:

مِن مِننِ الباري على المؤمنين رُجوعُهم إلى أهليهم فرِحين

عُطف قولُه تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ على قوله سبحانه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران، فإنّه مَن حوسِبَ الحسابَ اليسير يَرجعُ إلى أهله المؤمنين مسرورًا مبتهجًا بفوزه ونجاته قائلًا لغيره: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ

(1) مسند أحمد: 6/ 185، رقم الحديث: (25555).

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 98، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 223.

كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: 19][1]. فجُمع بالعطف بين العَفْوِ عن الحساب، والإكْرامِ بالإسعاد[2].

براعة استعمال الفعل (ينقلب):

رجـوعُ المُؤمـنِ فرِحًا إلى الأهلِ، مِـن آثـار حسن العملِ

أوثر في قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ التَّعبيرُ بالفعل (ينقلب) دون غيره؛ لأنَّ الانقلاب معناه الرُّجوعُ إلى الموضع الّذي جيء منه خصوصًا. يقال: انقلب المسافر إلى أهله، وأصلُه مستعارٌ مِن قَلب الثَّوب، إذا صَرَفه مِن وجهٍ إلى وجهٍ آخر، والمراد به في الآية: رجوعُ المُؤمِنِ بعد حسابه إلى أهله في المحشر قبل دخول الجَنَّة، لا كما قال بعضُهم من أنّه يدلّ على أنّ أهله يدخلون الجنّة قبله. وليس المرادُ أيضًا رجوعَه إلى منزله في الجنّة؛ لأنّه لم يكن فيه مِن قبلُ حتَّى يُقالَ لمصيره إليه انقلاب، ولأنّه قد لا يكون له أهلٌ أصلًا[3]. ومجيئُهُ مضارعًا يوحي بديمومة هذا الفعل واستمراره وعدم انقطاعه[4]. والمؤمن يرجع مِن نفسِه برغبةٍ وقَبول[5].

بلاغة استعمال لفظ الانقلاب بين الاستعارة والكناية:

خـيرُ الـجـزاء المـسـرّةُ والـفـوزُ والـنّـجاةُ وطـولُ الرّاحة

تضمَّنَ قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ صورةً بديعةً، فهذا التَّركيب تمثيلٌ لحال المحاسَب حسابًا يسيرًا في المسرّة والفوز والنّجاة بعد العمل الصّالح في الدّنيا، بحال المسافر لتجارةٍ حين يرجعُ إلى أهله سالمًا رابحًا، لِما في الهيئة المشبَّه بها مِن وفرة المسرّة بالفوز والرِّبح والسّلامة ولقاء الأهل وكلُّهم في مسرَّة، فذلك وجه الشَّبه بين الهيأتين وهو السّرور المألوف للمخاطبين، فالكلام

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 260.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 21/ 340.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 261.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 340.

استعارةٌ تمثيليَّةٌ. وهو أيضًا كنايةٌ عن طول الرّاحة؛ لأنَّ المسافر إذا رجع إلى أهله بعد السّفر فارق مَتاعبَه[1].

بلاغةُ ﴿إِلَىٰٓ﴾ وأثرُها النَّفسيُّ:

انتهاءُ المؤمن إلى أهله بالبشارة

يدلّ حرف ﴿إِلَىٰٓ﴾ في قوله تعالى ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ على انتهاء الغاية. فالمؤمن الّذي يحاسَب حسابًا يسيرًا ينتهي إلى أهله في المحشر مبشِّرًا لهم بفوزه العظيم، وداعيًا لهم إلى قراءة كتابه فرحًا به كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ [الحاقة: 19].

توجيهُ المقصودِ بالأهل:

خُصوصُ الأقاربِ أو عُمومُ المؤمنين

يجوز أن يُقصد بلفظ ﴿أَهۡلِهِۦ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾، المعنى الخاصُّ، أي: عشيرتُه المُؤمنون وهُم الأقارب المُسلمون. وهذا المُتبادِرُ عند إطلاق الأهل، ويجوز أن يُقصدَ به فريقُ المُؤمنينَ، فالأهل بمعنى الأتباع مُطْلَقًا - الأقارب أو غيرهم - لاشتراكهم في الإيمان. وقيل المقصود: (أهله في الجنّة من الحور)، وهذا بعيدٌ؛ لأنّ إيتاءَ الكتابِ وسُهولةَ الحسابِ قبل دخول الجنَّة[2].

دلالة الحاليّة في لفظ ﴿مَسۡرُورٗا﴾:

السّرورُ خلوٌّ مِن الحزن وامتلاءٌ بالفَرَح

وُصف المؤمنُ في الآية بالوصف ﴿مَسۡرُورٗا﴾، وأصلُه الخلوُّ مِن الحزن[3]، وموقعُه حالًا في الجملة يدُلُّ على أنَّ المؤمنَ يرجعُ بعد العرض إلى أهله في حالةِ ابْتِهاجٍ واسْتِبْشارٍ، لكونه مِن أهل النّجاة، وغبطةٍ بما أوتيَ من الخير والكرامة، داعيًا النّاسَ إلى قراءةِ صحيفةِ أعمالِه كما وصفَ اللّه حالَه بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 222.
(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 167.
(3) الرّاغب، المفردات: (سرر).

بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: 19 - 22].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السُّرور والحُبور والفَرح:

السّرورُ فرحٌ في خَفاءٍ، والحُبورُ فرحٌ في ظُهور

يتقارب كُلٌّ مِن لَفظَي (السّرور) و(الحبور) تقاربًا دلاليًّا، فكُلُّ لفظٍ منهما دالٌّ على لَذَّةٍ تحصُلُ في القلب عند حصولِ نفْعٍ، أو توقُّعِه، أو اندفاعِ ضرَرٍ. ويُفرَّق بينهما بأنّ السّرورَ هو الخالصُ المُنكَتِمُ، والحبور: هو ما يُرى حِبْرُهُ - أي أثرُه - في ظاهرِ البشَرة، وهما مُستعملان في المحمود، ويكونان عن القوّة الفكريّة. أمّا الفرَح فهو: انشراحُ الصَّدر بلَذَّةٍ عاجلة، وأكثرُ ما يكون ذلك في اللّذّات البدنيّة الدّنيويَّة.

ومن هنا فاستعمال السُّرور في هذه الآية لكونه يختصّ بالقلوب، فهو فرحٌ خالصٌ خفيٌّ، يظهر أثرُه بِشرًا وحُبورًا، وهو يُناسبُ حالَ المؤمن المُبشَّر في الجنَّة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"